وفيها الخدم من الرجال والنساء، ومن الممكن بل من المرجح أن بيتها سيكون متواضعًا متضائلًا مقترًا عليه في النفقة، فستزف يومًا إلى سالم، وهل سالم إلا حذاء يعيش من عمل يده وعرق جبينه؟! فيجب أن تكون زوجه ماهرة في تدبير أمرها، والعناية ببيتها، والقيام على تربية من سيُتاح لها من الولد، وقد أُلقي في روع الفتاة قبل أن تُجاوز الصبا وتبلغ الشباب أنها خطب سالم الآن وزوجه غدًا، قد اتفق على ذلك الأبوان خالد وسليم، واتفقت على ذلك نفيسة وزبيدة، وألحت زبيدة في ذلك أثناء مرضها الذي ماتت فيه؛ فليس عنه منصرف، وليس إلى تبديله من سبيل؛ ومن أين يأتي التبديل وقد أصبح هذا أمرًا مقررًا تراه الأسرتان كما تريان مقدم النهار ومقدم الليل! فكانت الفتاة تتحدث إلى نفسها بهذه الخطبة الواقعة وبهذا الزواج المنتظر، وكانت تفكر كثيرًا في هذا الشاب الفتيِّ القوي الجميل المرح، الذي يحسن الدعابة ويؤثر المزاح على كل شيء، والذي كان ينتهز كل فرصة ليزور عمه وأبناء عمه في مدينتهم هذه، فيُطيل الزيارة، ويُقيم بينهم فيطيل المقام، وربما أسرف في ذلك حتى يدعوه أبوه بالكتاب يتبع الكتاب، وفيه اللوم والتأنيب، وفيه التوبيخ والتقريع، وكانت الفتاة البائسة مُستيقنة فيما بينها وبين نفسها بأنها الغرض من هذه الزيارة الكثيرة ومن هذه الإقامة المتصلة؛ فقد كانت تحب الفتى حبًّا شديدًا، وتؤثره على كل إنسان وعلى كل شيء؛ لم تكن تتحدث بذلك؛ فحياء الفتيات وآداب الريف تمنع من مثل هذا الحديث، ولكنها كانت تُديره في رأسها مُصبحة ممسية، وتستحضره في قلبها أثناء يقظة النهار ونوم الليل. وكان ذلك يعينها على عملها المتصل المُرهق الذي جعل يزداد اتصالًا وإرهاقًا كلما تعقدت أمور الدار؛ وكانت أمور الدار تتعقد في سرعة مُدهشة؛ فقد كثر الأبناء وكثرت حاجاتهم، وعظم أمر الأسرة وكثرة الزائرون لها والملمون بها من الضيف، وجعلت «مُنى» تخفف شيئًا فشيئًا من أثقال أعبائها على الفتاة، والفتاة ماضية في العمل، جادة فيه، مخلصة له، تستعين عليه بهذا الحب الدفين، وبهذه الآمال العراض التي كانت تُزين لها كل شيء في الحياة إلا وجهها وخَلْقهَا؛ فلم يكن إلى تزيينهما سبيل.

وكان حب الفتاة على شدة كتمانها إيَّاه وحفظها له يظهر فجاءة إذا ذكر اسم سالم أو حضر شخص سالم على غير انتظار، هنالك تبرق عيناها، ويضطرب على وجهها المظلم الجهم نور ضئيل لا يلبث أن ينمحي كأنه هذه الأضواء الطارئة الضئيلة التي تنبسط على قطعة من ظلمة الليل لحظة ثم تزول كأنها لم تكن، وكان هذا الحب الكمين يظهر ملحوظًا حين يُقيم سالم في الأسرة قليلًا أو كثيرًا؛ فقد كانت الفتاة تلحظه لحظات